فى الشأن الفلسطينى الإسرائيلى

مصر الغد

بقلم:

د.م. نادر رياض

www.naderriad.com

على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، يحضرنى ما يسمى فى علم الرياضيات بالمعادلة الرياضية البسيطة من الدرجة الأولى وتنسحب هذه التسمية على المعادلة إذا كان عدد المجاهيل فيها «واحداً» بغض النظر عن عدد المعطيات والثوابت فيها ،مثال ذلك مساحة المستطيل وأحد أضلاعه معطيات والمجهول تحديد الضلع الآخر للمستطيل ،وتزداد المعادلات تعقيداً صعوداً من المعادلة من الطبقة الثانية ثم الثالثة وصولاً للمعادلات التفاضلية المعقدة.

وفى حالتنا هذه كم كان الرئيس السيسى رائعاً فى خطابه الموجه للعالم شرقه وغربه من فوق منبر الأمم المتحدة فى عمومه ثم الانتقال للتنويه للمشكلة الفلسطينية.

ما يعنينى فى هذا المقام إنما التوجه الذى أورده الرئيس موجهاً حديثه للشعب الإسرائيلى فى المقام الأول، إذ وضع معادلته البسيطة من الدرجة الأولى فى سياق حدده بكلمات قليلة واضحة، إذ قال «أن أمن المواطن الإسرائيلى يرتبط ارتباطاً مباشراً بأمن المواطن الفلسطيني» انتهت المعادلة... وبقدر بساطتها إلا أنها جاءت كاشفة للكثير من التعقيدات والغوامض التى طالما غرق فى بحرها المفاوضون والوسطاء وطلاب المفاوضات والتسوية الذين غرقوا أو أغرقوا فى بحر المتناقضات ومنها العنف والعنف المضاد وأصابع الاتهام من كل طرف للآخر.

كشفت هذه المعادلة السهلة للبسطاء من الشعب الإسرائيلى قبل المتعلمين منهم كيف أن أمن الأفراد وسلام المجتمع لا يتثبت إلا متى ائتمنت جارى على نفسى وأسرتى مقابل الائتمان لجارى على نفسه وأسرته.

الرسالة واضحة وأعترف أنها صافحت مسامعى لأول مرة لترسى مبدأ راسخاً قديما قدم الزمان وإن كان البعض قد تناساه أو شغل عنه من أن ما لا تستطيع الحروب أن تحققه بأدواتها فإن السلام يستطيع أن يؤتى به وبأفضل منه بتكلفة أقل بمقياس الدمار وإراقة الدماء وإهدار القيم الإنسانية.

وكلنا يذكر كيف أن الرئيس بوش الابن قبل حربه على العراق أنه استن قانوناً جديداً لم يكن موجوداً من قبل يحصن الجنود الأمريكيين التابعين للجيش والقوات المتحالفة معه من الملاحقة القانونية عن جرائم الحرب التى قد تصدر عنهم وأتباعهم - فكان جوانتانامو وغيره العشرات.

وقد جاء رد فعل هذه الكلمات القليلة فى منطوقها العظيمة فى مدلولها من هدير للصحافة الإسرائيلية ترحيباً بهذه الكلمات، فاهتزت بها صحفها شرحاً وتفسيراً للحكمة وراء هذه الكلمات من معان ظاهرة ونتائج مرتقبة تمس جميعها شغاف قلوب الإسرائيليين بمختلف توجهاتهم فى تحقيق الحلم الدائم بحيث لم يعد للصقور الإسرائيلية ما كانت لهم من قبل من سطوة طالما دقت طبول التفوق العسكرى وفرض الأمر الواقع بالقوة، إذ إن ذلك لن يؤتى بسلام مستقر يطمئن فيه الشعب الإسرائيلى على نفسه وأطفاله بصورة دائمة وممتدة.

وفى مجال البحث عن نقطة بداية يأتى بها الفكر الاستراتيجى المحلق عالياً ومسقط تلك النقطة على أرض الواقع، فقد يزكى البعض بديلاً عن الحشد وراء معارضة القرار الأمريكى المرجأ تنفيذه من إقامة سفارة أمريكية بمدينة القدس « الغربية « أن نحشد الحشود وراء مطلب أن يتوازى ذلك ويتزامن معه إقامة سفارة أمريكية بالقدس الشرقية لتتعامل مع دولة فلسطين إرساء لحل الدولتين ونفياً لمغبة ازدواجية المعايير والتى نرجو للحكومة الأمريكية أن تثبت عكسها وليكن ذلك الآن وليس غداً.

■ رئيس مجلس الأعمال المصرى الألمانى